مجلة الحكمة للدراسات التربوية والنفسية
Eissn :2602-5248 Issn : 2353-0456
المجلد 10 / العـدد: 04(2022)، ص: 41- 59

أسس التربية عند مالك بن نبي وأهدافها ومجالاتها

The foundations of education according to Malik bin Nabi, its goals and fields

بوراس يوسف

جامعة محمد بوضياف بالمسيلة، bourasseyoucef@gmail.com

تاريخ الاستلام: 2022/11/16 تاريخ القبول: 2022/11/29 تاريخ النشر: 2022/12/07

ملخص: تعتبر التربية من أهم المجالات التي ركز عليها مالك بن نبي باعتبارها أحد مفردات الحضارة، والتي لا يمكن تصور مشروع حضاري دونها، هكذا كان تأسيس الحضارة الإسلامية وكل الحضارات، وهكذا يجري تصور استمرار أمة أو حضارة ما في التاريخ. ولوضع تصور تربوي نهضوي حضاري وضع مالك بن نبي جملة الأسس التي ينبني عليها هذا المشروع التربوي، وحدد الأهداف التي ترمي إليها التربية، والمجالات التي تتفرع لها. وفي سبيل توضيح هذه الأمور في فكر مالك بن نبي فقد اتبعنا المنهج التحليلي الذي يسمح بتفكيك فكر مالك بن نبي في سبيل الوصول إلى هذه المعايير والأسس، كما أن الهدف المرسوم لهذه المداخلة يتعلق بإبراز أحد المحاولات النهضوية الرائدة لوضع مشروع تربوي إسلامي في الجزائر والعالم العربي والإسلامي. وتمثلت النتائج خاصة في تأكيد مالك بن نبي على أهمية التربوية ودورها العظيم في إعادة بناء شبكة العلاقات الاجتماعية، وروح الفاعلية لدى الفرد أو الشخص.

كلمات مفتاحية: التربية الاجتماعية، شبكة العلاقات الاجتماعية، الفرد، الشخص.

Abstract: Education is one of the most important areas that Malik bin Nabi focused on, since it is impossible to imagine a

civilized project without it. In order to develop a renaissance educational conception, Malik Bennabi laid down the foundations of education, and defined its objectives, and the fields to which it branched. The goal set for this intervention is related to highlighting one of the pioneering renaissance attempts to develop an Islamic educational project in Algeria and the Arab and Islamic world. The results were especially in Malik Bennabi's emphasis on the importance of education and its great role in rebuilding the network of social relations, and the spirit of effectiveness in the individual or person.

Keywords: social education, the network of social relations, the individual, the person.

Keywords: keywords, keywords, keywords, keywords, keywords.

***المؤلف المرسل:** بوراس يوسف

1. مقدمة

يكتسي موضوع التربية عند مالك بن نبي أهميته من مركزية عالم الإنسان في المنظومة الحضارية في مشروعه الفكري، مع التسليم بأهمية الموضوعات الأخرى، فإذا كان إنسان ما بعد الموحدين هو صورة لتخلف الأمة، فإن استئناف الدورة الحضارية يعني عودة الإنسان ذاته إلى التاريخ الذي خرجت منه حضارته. وإذا كان الأمر في كل من النهوض والسقوط يعود للإنسان، فإن العلة في الأول والحكمة في الثاني إنما هي التربية التي يعود لها إعادة تأهيل الإنسان أو صياغته ليعود إلى التاريخ من جديد. وضمن التربية تكتسي الأسس التي تبنى عليها والأهداف التي تتوخاها، والمجالات التي تتفرع لها أهمية كبيرة في فكر هذا الرجل. لذلك كانت إشكاليتنا الرئيسة في هذا المقال، ما هي أسس وأهداف ومجالات التربية عند مالك بن نبي، وما هي الأهمية التي تأخذها في فكره التربوي؟ وكانت الفرضية الأساس هنا

أن لمالك جملة من الأسس تقوم عليها التربية، و جملة من الأهداف تسعى إليها، ومجالات عديدة تتفرع عنها. وهي من الأهمية بحيث لا يمكن تصور تربية دونها.

2: مفهوم التربية:

2. 1: التربية لغة واصطلاحا: التربية لغة كما ينقله لنا ابن منظور على ثلاث معان هي "ربا – يرب: بمعنى أصلحه وتولى أمره وساسه وقام عليه ورعاه. ربا – يربو: بمعنى نما ينمو. ربا – يربي: بوزن خفي، يخفي المعنى، نشأ وترعرع" (إبن منظور، السنة، ص1572).

وأما اصطلاحا فقد تفنن فلاسفة وعلماء التربية في وضع التعاريف لكننا نكتفي بما قدمه بعض فلاسفة الغرب لملاحظة الاختلاف بينها وبين ما يقدمه مالك كدليل على دور المحيط والطور الحضاريين في تحديد المفاهيم. فيعرفها أندري لالاند بأنها بوجه خاص: "تتمثل في عمليات إجرائية يتم بها تدريب الأفراد عن طريق إبراز ميولهم وتشجيعهم على حمل عادات مجتمعه، كما تعني تهذيب الحواس لدى الفرد في تقبل الادراكات الحسية الجديدة لتنتظم مع باقي الظواهر النفسية" (أندري لالاند، 2001، ص ص 22، 23).

ويربط جون ديوي بين عاملين فيها هما الجانب النفسي والجانب الاجتماعي، ولهذا يرى بأنها موضوع علمين هما علم النفس وعلم الاجتماع، لذلك يدخل عامل الخبرة كعامل أساسي في تحديد معناها باعتباره ينطلق بمحفز داخلي ليشكل محتواها بفضل احتكاكه بالبيئة الاجتماعية. ولذلك فالتربية عنده تنتقل من جيل إلى جيل بشكل متطور وديمقراطي "إن التربية ينبغي أن يكون مفهومها في أذهان الناس هو أنها عملية إعادة بناء الخبرات من جديد، وبصفة دائمة مستمرة، وأن الهدف الذي تنشد تحقيقه إنما هي الحقيقة" (جون ديوي، 1962، 39).

2. 2: مفهوم التربية عند مالك بن نبي: وأما مالك بن نبي فيورد لنا تعريفين في مجمل كتبه، أما أول هذين التعريفين فيجعل فيه من التربية منهج موضوعه المجتمع بأكمله وفي هذا يقول: "التربية هي المنهج الذي يهدي سير مجتمع ما، تأخذ قواعدها العامة من علم التاريخ، وعلم الاجتماع وعلم النفس" (مالك بن نبي، 1986، ص75).

كما يعرفها باعتبارها وسيلة ومجالها الأفراد فيقول بأنها "وسيلة فعالة لتغيير الإنسان وتعليمه كيف يعيش مع أقرانه، وكيف يكوّن معهم مجموعة القوى التي تغير شرائط الوجود نحو الأحسن، وكيف يكون معهم شبكة العلاقات التي تتيح للمجتمع أن يؤدي نشاطه المشترك" (مالك بن نبي، 1986، 100).

وفي هذين المفهومين لكل من مالك وبن نبي وجون ديوي، وإن كنا نلاحظ ذلك التطابق في ما يخص التأكيد على دور كل من العاملين الاجتماعي والنفسي في التربية، إلا أن الطابع النفعي الذرائعي عند جون ديوي من جهة، والربط التاريخي لمالك بن نبي من جهة أخرى يوحي بالاختلاف. لتأكيد الأول على الطابع المادي، وتأكيد الثاني على الطابع الروحي.

3: أسس المشروع التربوي عند مالك بن نبي: شكل المشروع التربوي لمالك بن نبي أهم جزء في مشروعه الفكري. هذا المشروع ذو البعد الحضاري المتكامل، والذي يتوجه للإنسان المسلم باعتبار أن مشكلة العالم الإسلامي ترتبط في وجودها به، كونه حامل الرسالة وصاحب التكليف. انطلاقا من هذا يمكن تصور الأسس التي قام عليها المشروع السياسي لمالك بن نبي، والمتمثلة في الأبعاد والأطر الحضارية والدينية والاجتماعية لمشروعه، بالإضافة إلى العنصر الإنساني باعتباره المستهدف من كل مشروع تربوي.

3. 1: الإساس الحضاري للفكر التربوي عند مالك بن نبي: باعتبار مشكلة العالم الإسلامي حضارية في طبيعتها، فإن هذا يحتّم شمولية النظر إليها، وهو ما يفرض أيضا شمولية المنهج، وبالتالي اعتماد وحدة التحليل المتمثلة في الحضارة. وهنا يأتي موقع التربية ضمن الإطار العام للمشكلة، وفي سياق فهم المشكلة باعتبار البعد التربوي من أهم جوانبها، وكذا لكون التربية، كعلم، فهي أحد الأدوات المسخرة في فهم ومعالجة هذه المشكلة. ولذلك استخدم مالك بن نبي منهج التركيب المتآلف الشمولي (Syntese): وهو منهج معالجة يسمح بالنظر إلى المشكلة في بعدها العام، وهذا ما يلتقي مع منظوره للمشكل باعتباره مشكلا حضاريا، وهو ما يعني الانتقال من العام إلى الخاص (البشير مقلاتي، 2007، ص267).

كما جعل مالك بن نبي من الحضارة، باعتبارها إطارا شاملا، وحدة التحليل الأساسية في منهجه، لتناسبها وطريقة المعالجة، وتضمنها كل أبعاد الأزمة، وتعني وحدة التحليل "ذلك الإطار النظري العام بكل مفرداته وقواعده ومبادئه وضوابطه ومفاهيمه والذي نستخدمه من أجل معالجة الإشكالات والتساؤلات التي تطرح علينا في سياق البحث في قضايا التجديد، والمجتمع، والإنسان، والحضارة وغيرها" (عبد العزيز برغوث، 2005، ص33).

وترتبط التربية بميلاد الحضارة والتي تولد مع انبثاق فكرة دينية تشحذ الهمم نحو البناء بفضل ما تبثه في النفوس من إرادة وعزيمة، وبفضل ما تنشئه من أواصر الأخوة والتكامل بين أفراد المجموع، فتخلق ما اصطلح عليه مالك بن نبي شبكة العلاقات الاجتماعية. إن التربية هنا تظهر في صورة تعاليم تلهب حماسة الأفراد والجماعات على السير وفق مقتضيات الفكرة الدينية، وهو ما مثلته في الحالة الإسلامية آيات القرآن وأحاديث الرسول و سنة الخلفاء الراشدين.

وإذا كان مالك بن نبي يصور الانتقال بين أطوار الحضارة بنوع من الحتمية، فهو لا يغفل ذلك الدور الذي يمكن أن تمارسه الإرادة في إعادة الأمور إلى نصابها وهو ما يظهر في استشهاده دوما بقوله تعالى ﴿إن الله لا يغير الله ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم﴾ (سورة الرعد الآية11)، إن في هذه الآية إعلان على قدرة الإرادة على تجاوز الحتمية التاريخية في نظريات التعاقب التاريخي الحتمي للحضارة من أمثال نظرية إرلوند توينبي وغيره، ويمكن العودة إلى قياس ذلك على الظواهر الطبيعية وكيف تصرف معها الإنسان "فالجاذبية قانون طالما قيد العقل بحتمية التنقل برا وبحرا، ولم يتخلص الإنسان من هذه الحتمية بإلغاء القانون ولكن بالتصرف مع شروطه الأزلية مع وسائل جديدة تجعله يعبر القارات والفضاء كما يفعل اليوم" (العابد ميهوب، 2013، ص189).

إن هذا يؤكد على القدرة على تجاوز القوانين الإنسانية والاجتماعية بنفس الطريقة، إذ تفيد الآية إمكان توجيه السلوك الإنساني عبر التربية من السلب إلى الإيجاب سواء ما تعلق بالقيم أو العادات أو التقاليد، فهذا القانون الذي تنص عليه الآية "سيتيح للإرادة الإنسانية إن شاءت أن تمحو السلبيات وتدعم الإيجابيات سواء في الفكر أو العادة أو السلوك أو القيم، كما سيتاح بموجبه للطبيعة البشرية الاستجابة لذلك، وبالتالي يكون بالإمكان البدئ بتغيير الفرد" (العابد ميهوب، 2013، ص189)

3. 2: الأساس الديني للفكر التربوي عند مالك بن نبي: عرف علم الاجتماع الإنسان على أنه حيوان ديني. وعليه يجعل مالك بن نبي من الدين حاجة فطرية، مثلها مثل الحاجات الحيوية، فإذا كانت الحاجات البيولوجية تضمن له وجوده، فإن تلبية هذه الحاجة الروحية تمنح لهذا الوجود المعنى.

ويتجاوز الدين كونه ضرورة فردية، إلى كونه لازمة اجتماعية، فباعتباره يمنح الوجود الفردي المعنى، فإنه بذلك يدخل به التاريخ بأن يحوله من مجرد فرد إلى كونه شخص، عندما يقفز به من حالة الفرد الذي ينتمي إلى جماعة بحكم الغريزة، إلى شخص ينتمي إلى المجتمع بحكم تدخل الدين، فالشخص هو نتاج "عملية إدماج رئيسية تمنح نشاط الغرائز كل فاعليتها الاجتماعية، حين تضع طاقتها في خدمة الأفكار والمبادئ" (مالك بن نبي، 1986، ص70). لذلك فالتربية ليست إلا "الجهد الذي يقوم به آباء الشعب ومربوه لإنشاء الأجيال القادمة على أساس نظرية الحياة التي يؤمنون بها" (عمر النقيب، 2009، ص240).

وإذا كانت التربية في الأساس تغيير، فإن هذا التغيير لا يمكن أن يتحقق إلا بفضل الدين، حيث يرجع له الفضل في كل التغيرات الكبرى التي حدثت في التاريخ، فضلا عن التغيرات التي تحدث على مستوى الفرد، في استبعاد تام لتفرد المادة بذلك "والدين ... يعد في منطق الطبيعة أساس جميع التغيرات الإنسانية الكبرى، وإذا فلن نستطيع أن نتناول الواقع الإنساني من زاوية المادة فحسب" (مالك بن نبي، 1986، 154).

والإنسان جانبان نفسي وزمني، حيث يتدخل الدين في البعد النفسي للفرد باعتباره يحدد محتوى الضمير الذي يحركه في المجتمع "فالعنصر الديني يتدخل هنا مباشرة في الطريقة التي يتبعها لاستبطان ذاته، باعتباره أساسا لضمير يبحث عن نفسه. هذا الضمير الديني قد ارتبط بالوعي الاجتماعي، ربطهما الإنسان ذاته...وإذن فالإصلاح الديني ضروري باعتباره نقطة في كل تغيير اجتماعي" (مالك بن نبي، 1986، ص154).

وطبعا لا نقصد بالدين هنا أن نكسب الفرد تربية دينية (وإن كانت مطلوبة)، أو نحشو المناهج التعليمية بالخطاب الديني، بل القصد من الدين رؤية إلى العالم،

يتلقّفها عقل المسلم ليرتّب في ضوئها عناصر الوجود، ويموضع ذاته في هذا العالم، الأمر الذي يمكنه استعادة حيويته الحضارية، ويسهم في توليد العلوم والمعارف.

ومن أهم الصور وضوحا في تأثير الدين في التربية باعتباره أساسا من أساساتها، تأثيرها في الفرد في إعداده وتغييره عندما ينتج الطاقة الحيوية أو التوتر في الفرد أو الإنسان المسلم، حيث يعتبر مالك بن نبي مفهوم الطاقة الحيوية أو التوتر واحد من المفاهيم الأكثر محورية في صياغة الإنسان المنوط بالحضارة وعملية التربية، ومصدر هذا التوتر هو الفكرة الدينية التي تصنع التغيير في الفرد وفي مظهره (العابد مهوب، 2013، ص ص288، 289)، ومن هنا يظهر أهمية ودور منهج التربية الاجتماعية في خلق صورة جديدة وذلك على إثر مجموعة الانعكاسات التي تظهر على إثر التوتر بدافع من الفكرة الدينية.

3. 3 : الأساس الاجتماعي للفكر التربوي عند مالك بن نبي: ينظر مالك بن نبي إلى المجتمع نظرة وظيفية، انطلاقا من البعد الحضاري والتاريخي للمجتمع، فيرفض ذلك التعريف الوصفي البسيط للمجتمع الذي يعتبر المجتمع (تجمع أفراد ذوي عادات متحدة، يعيشون في ظل قوانين واحدة، ولهم فيما بينهم مصالح مشتركة) فيعتبر أن هذا التحديد وصفي خارجي، لا يعطي أدنى تفسير للوظيفة التاريخية التي تناط لتجمع من هذا القبيل، كما أنه لا يفسر تنظيمه الداخلي، الذي قد يكون كفئا لأداء مثل هذه الوظيفة (مالك بن نبي، 1986، ص17).

وبالإضافة لتأكيده على استبعاد الطابع الوصفي لمفهوم المجتمع، فهو يستبعد من صفة المجتمع تلك الجماعات البشرية التي لا يدخل التاريخ عليها أي صفة من صفات التغيير، فكل جماعة لا تتطور، ولا يعتريها تغيير في حدود الزمن، تخرج بذلك من التحديد الجدلي لكلمة مجتمع. وعليه يعرف المجتمع بأنه "الجماعة التي

تغير دائما خصائصها الاجتماعية بإنتاج وسائل التغيير، مع علمها بالهدف الذي تسعى إليه من وراء هذا التغيير" (مالك بن نبي، 1986، ص15).

فإذا كان مالك يؤكد على التعريف الوظيفي للمجتمع بعيدا عن التعريف الثابت ـ الذي يؤكد عليه علماء الأجناس والأنثروبولوجيا الاجتماعية ـ فهو يؤكد على وجوب تجانس عمل أفراد المجتمع من أجل خلق التناغم وإزاحة أي تنافر قد يكون سببا في تردي المجتمع، وهو في ذلك يؤكد على دور التربية الاجتماعية في تحقيق ذلك، كونها تمكنه من التأقلم مع الآخرين والتكيف معهم باعتبارها "وسيلة فعالة لتغيير الإنسان وتعليمه كيف يعيش مع أقرانه، وكيف يكون معهم مجموعة القوى التي تغير شرائط الوجود نحو الأحسن دائما وكيف يكون معهم شبكة العلاقات التي تتيح للمجتمع أن يؤدي نشاطه المشترك في التاريخ" (مالك بن نبي، 1986، ص93).

وهو يجعل من التربية الاجتماعية ضرورة للتحضر، بل هي ما يحدد معنى التحضر، باعتبار أن التربية هي التي تحضر الإنسان لإدماجه في العيش المشترك، والتحرك وفق كيان واحد ضمن شبكة العلاقات الاجتماعية التي تنظم المجهود الجمعي وتتوجه به إلى غاياته التاريخية "إن معنى التحضر أن يتعلم الإنسان كيف يعيش في جماعة ويدرك في الوقت ذاته الأهمية الرئيسية لشكة العلاقات الاجتماعية في تنظيم الحياة الإنسانية، من أجل وظيفتها التاريخية" (مالك بن نبي، 1979، ص155)

وواضح من ما سبق كيف أن الجانب الاجتماعي يشكل بعدا وأساسا رئيسا في التربية عند مالك بن نبي، ويطلق عليها التربية الاجتماعية. وتركيزه على التربية الاجتماعية يعود إلى الهدف الذي يضعه مالك للتربية عندما يربطها بشبكة

العلاقات الاجتماعية إذ يصبح دورها الأساس هو إعادة بناء هذه الشبكة بإعادة اللحمة بين أصحابها.

3. 4 الإنسان كبعد محوري وأساس في الفكر التربوي عند مالك بن نبي: إن الغاية من أي مشروع تربوي هي بناء الإنسان، وهو ما يتفق فيه مالك بن نبي مع غيره، وهو الهدف الذي وضعه لمشروعه التربوي، إذ جعل من إنسان الحضارة هدف التربية "فتربية الحضارة هي التي تنتج الإنسان المتحضر... فتنقية المحيط من كل مظاهر ثقافة التخلف شرط حاسم لإخلاء السبيل لثقافة التحضر" (مالك بن نبي، 1976، ص155).

فإذا كان الهدف من كل سعي هو تحقيق مطلب الحضارة، فإن الخطوة الأولى التي يجب إنجازها هي ذلك التغيير على المستوى النفسي للفرد المسلم لتوفره على إمكانات التغيير النفسي. هذا التغيير الذي يجب أن يتحقق، وذلك لا يمكن أن يكون إلا عبر فعل ديناميكي يحركه "العنصر الديني عامَّة، فضلاً عن أنه يغذي الجذور النفسية العامة، يتدخل مباشرة في الشخصية التي تكوِّن الـ(أنا) الواعية في الفرد، وفي تنظيم الطاقة الحيوية التي تضعها الغرائز في خدمة هذه الـ(أنا)" (مالك بن نبي، 1986، ص72).

إن هذا يفضي بنا إلى القول بأن أي تغيير حضاري مشروط لوقوعه بذلك الفعل الديناميكي بتأثير من الدين، فإذا كانت الفكرة الدينية هي من تغير الفرد ومعامله النفسي من السالب إلى الموجب، من الانهزامية والسلبية إلى الفعالية، وتبعث فيه تلك الروح في مقتبل الحضارة ليحقق التغيير في واقعه بعد أن تحقق في ذاته؛ فإن هذا التغيير يبقى ممكنا ما تحقق التغيير على مستوى الأفراد، وهو التغيير المشروط بعودة تأثير الفكرة في واقع الأفراد والمجتمع، وذلك بعودة الانخراط في مجالها وإحيائها في النفوس.

وهناك أمر يرتبط بالدين ويصدر عنه والذي يتعلق بالسلوك الإنساني ألا وهو الأخلاق، فيعتبر بذلك عنصر الجمع بينهما، وتجسد الأول في الثاني، ومن ذلك ما روته عائشة عندما سئلت عن خلق رسول الله ﷺ حيث كانت إجابتها بأنه القرآن (الدرر السنية، 25813). ومالك بن نبي وإن كان قد تحدث عن الأخلاق فقد كان أغلب حديثه عنها يخص المجتمع وليس الأفراد لارتباطها بفكرة التوجيه الذي يعتبر الواقع الاجتماعي ميدانه الحيوي.

لكن ما يمكن استنتاجه بأن الأخلاق عنده قد ارتبطت بالسلوك الفردي قبل أن يتآلف مع الجماعة، وهي التي مهدت لهذا التآلف، فشبكة العلاقات الاجتماعية، التي تعتبر الأخلاق المؤلفة بين عناصرها، في النهاية ما هي إلا جمع لمجموعة من الأفراد يسيرون على نغمة واحدة، بمعنى أنهم أصحاب قناعات أخلاقية تسمح لهم بأن يكونوا أطرافا في هذه الشبكة، بمعنى أن هذه الأخلاق ذاتها من رشحتهم لهذا المستوى ألا وهو الانتقال من الحالة الفردية التي تسيطر فيها الأنا إلى الروح الجماعية التي تنقل الفرد من حالة فرد إلى حالة شخص. إذا فالأخلاق باعتبارها قيمة هي من كان لها الفضل في الارتقاء بالفرد إلى الحالة الاجتماعية.

إن التربية عند مالك بن نبي إن كانت تنصب على الفرد، وتسعى إلى إنجاز التغيير الإيجابي في حياته عبر استهداف تحقيق عنصر الفعالية أو النجاعة في حياته فهي تضع شرطا لذلك بوجود معامل التغيير المتمثل في الدين.

يعتبر التأكيد على هذه الأبعاد في العلوم الاجتماعية عموما وعلوم التربية خصوصا هي من جهة أخرى تأكيد على العنصر الهوياتي لهذه العلوم، عندما تحصر الظواهر ضمن هذه الأبعاد.

4. **أهداف التربية عند مالك بن نبي:** إنطلاقا من الرؤية الشاملة الحضارية لمالك بن نبي فإنه يسخر التربية لمهمة واحدة هي العودة بالأمة إلى الصدارة الحضارية

ودورها الرسالي. لذلك كانت أهداف التربية تنصب في هذا الاتجاه أي إعداد الإنسان الذي يضطلع بهذه المهمة وذلك من خلال أمرين هما تغيير الإنسان، وتعليمه العيش مع أقرانه كما رأينا في تعريفه للتربية باعتبارها "وسيلة فعالة لتغيير الإنسان وتعليمه كيف يعيش مع أقرانه، وكيف يكوّن معهم مجموعة القوى التي تغير شرائط الوجود نحو الأحسن، وكيف يكون معهم شبكة العلاقات التي تتيح للمجتمع أن يؤدي نشاطه المشترك" (مالك بن نبي، 1986، ص100).

4. 1 **تغيير الإنسان:** يتضمن مفهوم التغيير عند مالك بن نبي التكييف والتوجيه، أي تكييف وتوجيه طاقة الإنسان الحيوية والتي نجدها في صورتها الغريزية الموجهة إلى حفظ النوع، إلى صورتها التي تحمل فيها مهام اجتماعية، فهذه الطاقة الحيوية "قد تهدم المجتمع ما لم يسبقها تكييف، أعني ما لم تكن خاضعة لنظام دقيق تمليه فكرة عليا، تعيد تنظيم هذه الطاقة، وتعيد توجيهها فتحولها من طاقة ذات وظائف بيولوجية في المقام الأول، حيث تشترك في حفظ النوع، إلى طاقة ذات وظائف اجتماعية يؤديها الإنسان حين يسهم في النشاط المشترك لمجتمع ما" (مالك بن نبي، 1986، ص107)، وفي هذا الكلام تأكيد على الدور الذي تقوم به الفكرة العليا أو الدين في العملية التربوية عبر عملية التغيير من الغريزة إلى إنسان الحضارة.

وتخضع الفكرة الدينية الغرائز الإنسانية عبر تكييفها عبر آلية الكبت، حيث تقوم هذه الأخيرة بتنظيم الغرائز الفطرية وتوجيهها بما يتوافق مع الدين. دون أن يعني ذلك القضاء على الغرائز. وبتأثير الفكرة الدينية يكون الفرد قد أخضع وجوده كله للمقتضيات الروحية بحيث يمارس حياته في هذه الحالة الجديدة طبقا لقانون الروح (يوسف محمد حسين، 2010، ص425).

وما يصدق هذا الكلام ذلك النموذج الذي تحدث عنه مالك بن نبي عن صحابة رسول الله "فعندما كان النبي مشغولا في المدينة بالمطالب المادية للدولة الإسلامية الفتية، من أجل مواجهة ضرورات الحرب، التي ستبدأ بمعركة بدر كان صحابته يقدمون له عن طيب خاطر جزء من أموالهم، ويعقب سعد بن عبادة على عمله بتلك الكلمة المعبرة: (يا رسول الله: خذ من أموالنا ما شئت، وما أخذته منها أحب إلينا مما تركت)" (مالك بن نبي، 1986، ص108).

وفي هذا فإنه يجب على العالم الإسلامي أن يضع برنامجا تربويا يراعي بالدرجة الأولى إعادة الطاقة الروحية وتنظيمها باعتبار أن مشكلة الإنسان المسلم الحالي تجد حلها في العودة إلى المصدر الأول، وهي ما يعبر عنها قول الإمام مالك بن أنس: (لا يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها). فالحاجة هنا للفكرة الدينية ذاتها التي كيفت سلوك الجيل الأول.

وفي سبيل هذا الهدف أي إعادة تنظيم طاقة المسلم وتوجيهها يصادفنا أمر يتصل بالقرآن "أنه يجب تنظيم تعليم القرآن تنظيما يوحي معه من جديد إلى الضمير المسلم الحقيقة القرآنية كما لو كانت جديدة نازلة من فورها من السماء على هذا الضمير" (مالك بن نبي، 1986، ص114). وهذا ما درج على القيام به زعماء الإصلاح في العالم الإسلامي، ومن بينهم حسن البنا الذي قال عنه مالك بن نبي أنه كان: "يجعل من آية القرآن أمرا حيا يملي على الفرد سلوكا جديدا، ويجذبه جذبا إلى حياة العمل والنشاط. فالفكرة القرآنية هنا تؤثر في سامعها كأنما دبت الحياة والجدة فيها فجأة على شفاه الرجل" (مالك بن نبي، 1986، ص157).

3. 2 : **تعليم الإنسان فن الحياة مع الآخرين:** من الملاحظات الهامة التي يقدمها مالك بن نبي عن الحياة الاجتماعية في العالم الإسلامي تلك الانعزالية والانطوائية التي يعاني منها الفرد في هذا العالم، والأصل أن عملية التحضر هي عملية تتم في

إطار جماعة متناغمة في أدوارها، وهذا الأمر يبدأ من الحاضنة الاجتماعية الأولى ألا وهي الأسرة "فالوسط العائلي المسلم لا يسلم للمجتمع كائنا اجتماعيا صالحا لأن يؤدي فيه دورا فعالا لأن اتصاله بالآخرين متعسر، وسواء في ذلك أقرانه وشركاؤه الذين يقاسمونه أعماله ومصيره" (مالك بن نبي، 1986، 157). إن الخروج من هذه الحالة تفترض تظافر الجهود، حيث يبدأ الأمر بالإشارة إليها والحديث عن مضارها خاصة في إحباط محاولات الخروج من الوضع الحالي وبصورة أخص أن أي عمل في سبيل هذا يفترض تظافر الجهود وتناغمها.

بعد أن يسجل مالك بن نبي الدور الخطير الذي تقوم به مثل هذه الروح الانعزالية، يسجل بعض التجاوز لها في ما يظهر من تصرفات الأفراد والشعوب الإسلامية، ونحن بعد مضي كل هذا الزمن من تقديمه لهذه الملاحظات، نجد أن المسلمين في حال أحسن بكثير، إذ يبدو أن المسلم قد تجاوز هذه السلبية أو في طريق تجاوزها، خصوصا عندما نشاهد على مستوى النوادي والملاعب الرياضية والجامعات والمدارس وفي أماكن العمل وغيرها من أماكن اجتماع الناس كثيرا من التناغم في سلوك الأفراد.

لكن يبقى لفهم هذه الظاهرة وتجازها تحويلها إلى الدراسة النظرية عبر ملتقى أو مؤتمر يدرس مثل هذه الظاهرة "ولكن يلزمنا القول بأن المشكلة تظل تواجهنا في العالمين العربي والإسلامي، ولعل انعقاد مؤتمر يتخصص لدراسة الاجتماع في هذا العالم يضيء لنا هذا الجانب المهم، ويخرج لنا بنتائج عملية ... وعلى كل فإن على المؤتمر الإسلامي أن يجعل في جدول أعماله هذا الواقع الجوهري، وهو أن العالم الإسلامي يعيش في غير تاريخه، دون خطة في عالم حديث مخطط، وفي عالم التخطيط والخطط" (مالك بن نبي، 2001، ص204).

5. **مجالات التربية عند مالك بن نبي:** وهي الجوانب المستهدفة في العملية التربوية. وقد خلصت الأستاذة رقية بو سنان في بحثها: التربية في فكر مالك بن نبي، والأستاذ بوعزة صالح في بحثه: قراءة تحليلية لمقاربة مالك بن نبي في بناء الأفراد وإصلاح المجتمعات العربية في ظل العولمة الثقافية، إلى مجموعة من المجالات في التربية أوصيا بالتوسع فيها هي: الفكر والأخلاق والجمال والاقتصاد والبيئة والسياسة.

5. 1 التربية الأخلاقية: يرى مالك بن نبي أن التربية الاخلاقية تسعى إلى تشكيل عالم الأشخاص الذي يتسنى من خلاله تشكيل عالم الأفكار وعالم الأشياء، وهذا عبر عمليّة الاشراط المتمثلة في الترويض، والتهذيب، والتوجيه للطاقة الحيوية للأفراد لتجعل منهم أفرادا مكيفين (رقية بو سنان، بدون ت، ص8). وأخطر ما أصاب المسلم كان الانفصام بين مبادئه وواقعه ممثلا في الانفصام بين النموذج القرآني والتطبيق العملي، فقد انعدمت الدوافع الآلية التي حركت الرعيل الأول من الصحابة، ويلخصها الفرزدق في قوله للحسين بن علي، رضي الله عنهما، واصفا أهل العراق: (قلوبهم معك وسيوفهم مع بني أمية)، هذه الظاهرة التي ازدادت تفشيا في مجتمع ما بعد الموحدين، فأصبح المسلم بتأثير عقدة التفوق قليل المحاسبة لنفسه فلا يعترف بأخطائه، وأصبحت المعادلة التي تقوده في هذا المجال: بما أن الإسلام دين كامل وبما أنه مسلم، فالنتيجة أنه كامل، وبذلك اختلت أي حركة عنده لزيادة الجهد والتقدم (بوعزة صالح، بدون ت، ص21).

وللعودة إلى بناء اللحمة الاجتماعية ما علينا إلا تمثل القيم القرآنية في الواقع من جديد وهذا ما سعت إليه الحركة الإصلاحية.

5. 2 التربية الجمالية: يجد مالك بن نبي في الصور القبيحة تأثيرا سلبيا على المجتمع في أفكاره وأعماله ومساعيه، ولذلك رأى مجمل من درسوا العلاقة بين

الجمال والأخلاق أنه لا يمكن تصور الخير منفصلا عن الجمال (مالك بن نبي، 1984، ص82). فبالذوق الجميل الذي ينطبع فيه فكر الفرد، يجد الانسان في نفسه نزوعا الى الاحسان في العمل وتوخيا للكريم من العادات.

والتربية الجمالية تربي في الإنسان سمو الذوق الذي يتجسد في أنماط السلوك والعلاقات الاجتماعية كما يتجسد في الأشياء والموضوعات الحسية، وهي تمنح الفرد وعيا حسيا ملموسا بالتوافق والإيقاع اللذين يدخلان في تركيب كل الكائنات الحية والنباتات، وكلاهما يمثلان الأساس البنائي لكل الأعمال الفنية (بو عزة صالح، بدون ت، ص21).

5. 3 التربية الإنمائية: وتهدف إلى القضاء على ذهانيْ الاستحالة والاستسهال وكلّ ضروب العطالة عند إنسان ما بعد الموحدين، وهذا من خلال تمكينه من تحصيل الخبرة واكتسابه لمعنى الفعالية التي تقوم على الإرادة والانتباه وعلى ربط دوافع العمل بوسائله وأهدافه. ومن أهم أوجه التربية الإنمائية نجد التربية الاقتصادية والتي تعني "توجيه نمو الفرد الإنساني وجهة ترتضيها الجماعة ويتعارف عليها الناس ويقرها النظام السائد في التعامل الاقتصادي، خاصة فيما يتعلق بجانبي الإنتاج والاستهلاك، بوصفهما الركيزة الأساسية لحياة الأفراد والمجتمعات" (عبد الغني عبود، 1992، ص80). فالتربية الاقتصادية تعني إدخال الفاعلية في الانتاج والتسيير عن طريق تسخير جميع الإمكانات الأولية وتوظيف العلم ونتائجه في سبيل ذلك.

5. 4 التربية المدنية: للتربية المدنية عدة تعريفات منها أنها "جانب التربية الذي يهدف إلى تنمية شعور الفرد للتعايش داخل جماعة لتحقيق فائدة متبادلة ... وهي التربية التي تركز على موضوعات محددة تهتم بأخلاق المواطن وبسلوكه في مجتمعه وبجوانب سياسية ووطنية" (رقية بوسنان، بدون ت، ص10)، وهو ما

يشير إلى روح المواطنة. وهو تعريف لا يبتعد كثيرا عن ما يذهب إليه مالك بن نبي من أنها تهدف إلى تمية الروح المواطنية والمدنية في الفرد والمجتمع، وبث الروح الديمقراطية في شعور هذا المواطن وسلوكه.

6. خاتمة

رأى مالك بن نبي في التربية الطريق الفعال لمعالجة مشكلة التخلف في المجتمع العربي والإسلامي، وذلك بفضل الآليات التي تمكنها من بعث الروح في الفرد والجماعة، بخلق التناغم في عمل الأفراد داخل المجموع، وبعث روح العمل في الفرد بتكييف وتوجيه طاقته الحيوية، عبر توظيف عنصر الدين خاصة لما له من قدرة على إعادة النشاط في الفرد والجماعة وخلق التناغم الكاف في نشاطهما.

ويمكن الحديث عن بعض النتائج في ما قدمه مالك بن نبي في مجال التربية وأولها أنه تمكن من حصر الأسس التي تقوم عليها التربية، ممثلة في الحضارة والدين والمجتمع والإنسان، حيث أنه لا يمكن الحديث عن أي تربية في ظل غيابها معا أو غياب بعضها، وكذلك تحديده للهدف من التربية متمثلا في بعث روح العمل الجماعي وخلق الإيقاع المشترك في عمل المجموعة، وبعث روح العمل في صفوف الأفراد، وكذلك تحديده لمجالات التربية متمثلة في الأخلاق والجمال والإنماء و الجانب المدني.

وقد يكون التطبيق هو الجانب الذي يفتقر إليه التنظير التربوي لمالك بن نبي، لذلك فإن التوصية الأكثر فاعلية هنا هي المطالبة بمنح فرصة لمثل هذه الأفكار لولوج الواقع وذلك بتطبيقها وهو ما يجب أن تقوم به الدول والحكومات، والمجتمع المدني ولو من باب اختبارها والتأكد من عمليتها وصلاحيتها.

قائمة المصادر والمراجع:

القرآن الكريم.

1: ابن منظور محمد ابن مكرم، *لسان العرب*، مج 3، (بد ط)، مصر، دار المعارف.

2: العابد ميهوب،(2013، 2014) *الفكر التربوي عند مالك بن نبي*، (رسالة دكتوراه غير منشورة، علوم التربية، جامعة محمد خيضر، بسكرة).

3: لنقيب عمر (2009)، *مقومات مشروع بناء إنسان الحضارة*، (ط1)، الجزائر، الشركة الجزائرية اللبنانية.

4: برغوث عبد العزيز ، (2006) من أساسيات المنهج الحضاري عند مالك بن نبي، *مجلة بونة للبحوث والدراسات*، ؟ العددان 4، 5، الصفحات:(27 – 54) search?q=cache:bxYB_LTLjdgJ ،الجزائر.

5: بن نبي مالك، (1979)، *تأملات*، (ط1)، دمشق، دار الفكر.

6: بن نبي مالك، (1984)، *مشكلة الثقافة*، تر: عبد الصبور شاهين، 1984، (ط4)، دمشق، دار الفكر.

7: بن نبي مالك، (1986)، *ميلاد مجتمع*، تر: عبد الصبور شاهين، (ط1)، دمشق دار الفكر.

8: بن نبي مالك، (2001) *فكرة الأفريقية الأسيوية*، تر: عبد الصبور شاهين، (ط2) دمشق، دار الفكر.

9: بن نبي مالك، (1986) *وجهة العالم الإسلامي*، تر: عبد الصبور شاهين، (ط1)، بيروت، دار الفكر.

10: بوعزة صالح، (بدون ت)قراءة تحليلية لمقاربة مالك بن نبي في بناء الأفراد وإصلاح المجتمعات العربية، https://www.asjp.cerist.dz /24608، جامعة محمد دباغين، اسطيف، التحميل: 28/ 03/ 2022.

11: بوسنان رقية، (بدون ت) التربية في فكر مالك بن نبي قراءة في سلسلة مشكلات الحضارة، https://www.academia.edu/37840859، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة، التحميل: 28/ 03/ 2022.

12: ديوي جون، (1962) *مدارس المستقبل، تر: عبد الفتاح المنياوي، القاهرة، مكتبة النهضة.*

13: عبود عبد الغني، (1992) *التربية الاقتصادية في الإسلام*، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية 1992.

14: لالاند أندري، (2001)، موسوعة لالاند الفلسفية، مج1، تر: خليل أحمد، (ط2)، بيروت، منشورات عويدات.

15: محمد حسين يوسف، (2010) *موقف مالك بن نبي من الفكر الغربي الحديث*، (ط1)، الجزائر، دار الخلدونية.

16: مقلاتي البشير، (2007)، هكذا تكلم مالك بن نبي، (ط1)، الجزائر، مكتبة اقرأ.